أسماء الله الحسنى
من خلال مدارسة أذكار الصباح والمساء

(سيد الاستغفار)

أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الفهرس

اللّقاء السّابع عشر ٤

اللّقاء الثّامن عشر ١٨

اللّقاء التّاسع عشر ٣٠

اللّقاء السّابع عشر

السّبت: ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٤٣ هـ

مقدمة سيد الاستغفار

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلها ساعة مباركة، هذه السّاعة الّتي نجتمع فيها حول معرفة ما لله -عزّ وجلّ- من عظمة وجلال، ونعرف ما منّ به علينا -سبحانه وتعالى- من هذه الأذكار العظيمة الّتي تجعل العبد ينطق بما يعتقد لله، فإنه -سبحانه وتعالى- قد منّ علينا بنعمة عظيمة وهي: أنّه علمنا -عزّ وجلّ- كيف نذكره ونشكره، فكانت هذه الأذكار نطق باللّسان عمّا يحمله الوجدان من عقيدة في الرّحمن فكانت المنّة العظيمة، وها نحن بفضل الله نلتقي حول هذه الأذكار ولكننا نريد في كلّ مرة أن نناقش الذّكر من جهة كونه يحمل علمًا عن الله وعقيدة يجب أن نكون حاملها عن الله.

واليوم بإذن الله سنأخذ ذكرًا عظيمًا مدحه رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وسمّاه "سيد الاستغفار" والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- مدحه بهذا المدح لأجل ما في هذا الذّكر من علو مرتبة في بيان عظمة الله والتّقرب إليه بأمور ستتبيّن خلال الذّكر وستكون سببًا لأمر عظيم ومطلب مهم للإنسان وهو مطلب المغفرة.

نبدأ أوّلًا بالكلام حول اليقين باسم ربّنا العظيم وهو: اسم الله (الغفور) وهذا الاسم -اسم الله الغفور- من الأسماء الّتي نحن بحاجة لتكرار السّماع عنها،

وتكرار مناقشتها، لأجل أن يبقى على لساننا دائمًا الاستغفار، فالنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد أثر عنه أنّه في المجلس الواحد كان يستغفر الله أكثر من سبعين مرة، وكلمة "السّبعين" عند العرب مثل في كلامنا السّائغ أن نقول: (لو فعلت هذا الأمر ألف مرة أو حصل لنا هذا الشّيء ألف مرة) هذا من باب العدد الكثير، فمعنى ذلك أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كان يستغفر السّبعين وأكثر من السّبعين.

هنا نقف أمام عقيدة مهمة من عقائدنا: لا يمكن أن تكون هناك طمأنينة في الحياة بغير فهم هذا الاسم العظيم؛ لأن ابن آدم من طبيعته أنه يرتكب الخطايا، من طبيعته الخطأ؛ ولأنه بهذه الطّبيعة أمر أن يكثر من دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1] ويكثر من دعاء: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي»[2] ويكثر من الدّعاء الّذي فيه طلب الاستعاذة: «اللَّهمَّ إنّي أعوذُ بِكَ أن أَزِلَّ أو أضِلَّ أو أظلِمَ أو أُظلَمَ أو أجْهلَ أو يجْهلَ عليَّ»[3] كلّ هذا يبيّن لنا طبيعة الإنسان، وكلّ هذا يبيّن لنا حاجتنا العظيمة إلى أن نعرف عن ربّنا أنّه غفور لأجل أن تطمئن حياتنا وتطمئن نفوسنا، وهذا لا يحصل لو كان المطلوب التّعامل مع ربّ العالمين بمثالية كما يريد الناس أحيانًا من النّاس أن لا يخطئوا أبدًا وأن لا تحصل أي نقطة ضعف في تصرفاتهم، فطلب حياة مثل هذه طلب يوتر الإنسان ويفسد عليه الحياة ويصيبه بالإحباط، وربما يصيبه بإحساس إنّه فاشل فيتعرض بعد ذلك للاكتئاب وربما لقتل النّفس! وهذا ونحن نتكلم عن المثالية بيننا كخلق، فكيف

---

(١) الفاتحة: ٦.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٥).

(٣) أخرجه النسائي: (٩٨٣٣).

لو كان المطلوب منا أن نتعامل مع ربّنا بهذه الطّريقة؟! وتصور فقط أنك لا تعرف عن الله أنّه غفور، تصور فقط هذا الأمر أنّك لا تعرف عن الله أنّه غفور كيف ستكون الحياة؟ وكيف سيكون التّفكير في لقاء الله؟ وهل ستكون الحياة فيها طمأنينة أم سيكون فيها اضطراب عظيم؟! وكم سيقع في قلب الإنسان من حزن وخوف يكاد يقتل الإنسان نفسه بسببه عندما يذكر هذه الذنوب؟! بل يكاد هذا الحزن أن يقتله، لابد أن نشعر بمنّة الله علينا أن علّمنا أنّه غفور.

وحين يأتي سيد الاستغفار ونتناقش فيه سنفهم كم منّ علينا ربنا بهذا الذّكر خاصّة.

بين يدي سيد الاستغفار نتكلم عن أنّ ربّنا وصفه أنّه غفار، وأنّ من أسمائه (الغفور)، (الغفار) فلابد أن نشعر أننا بحاجة عظيمة إلى معرفة هذا الاسم، ونشعر أنّ الله تفضّل علينا به، وأنّ لهذا الاسم آثار عظيمة على النّاس، حتّى يقوم النّاس من كبواتهم ويرجعوا سالمين من آثار عثراتهم، ويجددوا الإيمان في قلوبهم ويدفعوا عنهم اليأس والقنوط والتّذمر والحبوط.

اسم الله (الغفور) وصفة الله أنّه (ذو مغفرة) شيء عظيم عظيم، وقد ورد في كتاب الله اسم (الغفور والغفار والغافر) وباقي المشتقات (٢٣٥) مرة دلالة على أهميتهم في حياة النّاس وأنه يجب أن يتذكروا هذا الخبر عن الله.

ومن جهة أخرى دليل على تفضّل الله على عباده، ففروا إلى الله يا عباد الله، اعرفوا الله وفروا إليه ولا تطلبوا غيره غافرًا، ولا تخشوا من غيره غاضبًا، الله -عزّ وجلّ- تفضّل بمغفرة ذنوب المذنبين ومحو أثر ذلك عن التّائبين من العاصين:

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1] وقد وجدنا الله غفورًا رحيمًا، وقد وجدنا الله ساترًا لعيوبنا آخذًا بأيدينا إلى الصّلاح والفلاح بعد عظيم العثرات والأخطاء الّتي أوقعنا نفسنا فيها. وها هم الأنبياء يخاطبون أقوامهم ويدلّونهم على طريق الصّلاح، ها هو نوح -عليه السّلام- يقول لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[2] اعلموا عن ربّكم هذا الحقّ، اعلموا عن ربّكم هذا الوصف فإنّه الحقّ، لا تضيعوا أنفسكم بالذّهول والنّسيان لهذا الوصف للرحمن، هو الّذي قد قال عن نفسه إنه: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[3].

وفي الحديث عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «كان النَّبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- إذا تَضوَّرَ من اللَّيلِ» يعني تقلب «قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ الواحِدُ القَهَّارُ ربُّ السَّمَواتِ والأرضِ وما بيْنَهما العَزيزُ الغَفَّارُ»[4].

فالغفار -سبحانه وتعالى- هو الّذي علم رسوله كيف يستغفره الخلق فعلّمهم هذا الحديث العظيم سيد الاستغفار.

الغفار هو الّذي أظهر الجميل وستر القبيح في الدّنيا وتجاوز عن العقوبة في الآخرة.

والغفور هو كثير المغفرة، و(الغفور) هذه صفة مشبّهة، في كلام النّاس هذه صيغة مبالغة ولكن في حقّ الله هذه حقيقة لا مبالغة فيها لأنّه -سبحانه وتعالى- يغفر الذّنوب مهما كثرت، ويمحو الخطايا مهما عظمت، ويفعل ذلك المرة بعد

---

(١) النساء: ١١٠.

(٢) نوح: ١٠.

(٣) غافر: ٣.

(٤) صححه الألباني.

المرة في مرات لا تحصى للعبد وللخلق عمومًا، فهو الغفور الّذي يغطي ويستر ذنوب عباده، هو ساتر لذنوب عباده، متجاوز عن أخطائهم وعيوبهم، فلا يشهّر بهم ولا يفضحهم، بل إنّه -سبحانه وتعالى- يكثر من السّتر على المذنبين من عباده ويزيد عفوه -سبحانه وتعالى- على مؤاخذته، والخلق لولا هذا ما كانوا عاشوا مستورين، نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض، فالواجب علينا أن نستبشر بهذا الوصف لربّ العالمين.

وعندما نأتي في أذكار الصّباح والمساء ونقول (سيد الاستغفار) نقوله وقلوبنا ممتلئة من هذه الصّفة لربّ العالمين، حقّ علينا أن نستبشر ونحن نقول (سيد الاستغفار) حقّ علينا أن نستبشر، نستبشر باتصاف ربّنا -عزّ وجلّ- بصفة المغفرة، ومن عرف ربّنا وعرف عظمته وجلاله شعر ببرد في قلبه، برد إذا تذكر أنّ ربّه غفور، إذا جمع الإنسان بين وصف الرّحمن بأنّه عظيم وله الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، لو تفكر الإنسان فقط في نجوم السّماء وتذكّر أنّ خالقها -سبحانه وتعالى- هو الّذي سيحاسبه يوم القيامة لوجد رعدة في نفسه تكاد تشلّ أطرافه! لا يبرد هذه الرّعدة ولا يصرف شرها عنه -من أجل أن لا يستغلها الشّيطان- إلّا أن يتذكر الإنسان أنّ ربّه غفور وأنّ الرّسول الكريم الّذي أرسل إليه علّمه سيد الاستغفار.

علينا أن نستبشر بهذا الوصف العظيم وهذا الدّعاء العظيم، نستبشر باتصاف ربّنا بصفة المغفرة: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1] هو وليس

(١) الزمر: ٥٣.

أحد غيره، هو -عزّ وجلّ- وليس أحد غيره، فحقًّا يا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنّهم برب العالمين الذي لا يتعاظمه ذنب ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو، الملتجئين إليه في مغفرة ذنوبهم. قال تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لاحظوا أنّ عدم تذكرنا لمسألة المغفرة وعدم استحضارها دائمًا وعدم استحضار أنّ ربّنا هذا وصفه يمكن أن يكون سببًا لأن يخطفنا الشّيطان إلى القنوط وإلى تصوير الحياة أنها مظلمة ولكن هذه الآية العظيمة تخاطب الذّين أسرفوا على أنفسهم وتحثّهم على أن لا يقع في قلوبهم قنوط من رحمة الله، خصوصًا وأنّ ربّ العالمين يقول: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ كثير المغفرة والرحمة، عظيمهما، بليغهما، واسعهما، ومن أبى هذا الفضل العظيم والعطاء الجسيم وظنّ أنّ تقنيط عباد الله وتيئيسه من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به فقد ركب أعظم الشّطط وغلط أقبح الغلط، يعني المفروض لأنفسنا ولمن نربي أن لا نقنط من رحمة الله، والشّيطان يتسلط علينا من أجل أن نقنط من رحمة الله، نعوذ بالله من القنوط.

فمهما بلغت ذنوب العباد فإن مغفرة الله أعظم منها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾[1] وما علمنا الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- سيد الاستغفار وما أخبرنا الله -عزّ وجلّ- في كتابه عن هذه الصّفة إلّا لكي نطمع فيها، ليس لكي نذنب ولكن نحن طبعنا أن نغفل وننسى ولكن أهم شيء: لا ننسى ربّنا ولا ننسى أوصافه،

(١) النجم: ٣٢.

نهرب إليه دومًا وأبدًا، ولنكن متذكّرين أن عدونا متيقظ لنا يريد أن يجعلنا ممن يأسوا من رحمة الله، يوقعنا في الذّنب فإذا وقعنا هيّج في قلوبنا القنوط من رحمة الله.

وفي الحديث عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «إِنَّ الشيطانَ قال: وعِزَّتِكَ يا ربِّ! لَا أبْرَحُ أُغْوِي عبادَكَ مَا دَامَتْ أرْواحُهُمْ في أجسادِهِمْ، فقال الرَّبُّ -عزَّ وجلَّ- : وعزَّتِي وجلَالي؛ لَا أزالُ أغْفِرُ لَهم ما استغْفَرُونِي»[1].

نستغفر الله ونتوب إليه

نستغفر الله ونتوب إليه

نستغفر الله ونتوب إليه

ليس هناك ذنب يتعاظم على الله مغفرته مادامت روح الإنسان في بدنه ولم يغرر بعد ولم تشرق الشّمس من مغربها، حتّى الشّرك مَن يتوب منه قبل الغرغرة وقبل أن تشرق الشّمس من مغربها يتوب الله عليه، قال تعالى:

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2]

نعم، الإنسان ينسى ويلهو ويخطأ ويقع في أمور كان يحذر نفسه منها وكان يقول لنفسه: (احذر أن تغتاب النّاس، احذر أن تخطئ في كذا وكذا من الأمور، احذر أن تؤذي كذا) ولكن يجد نفسه قد زلت قدمه ويحزن حزنًا عظيمًا ثم يشعر أنّ ذنوبه جبل من الجبال ولكن لا يستسلم الإنسان للشيطان بل ولو كرر الخطأ بعد التّوبة والاستغفار فليكرر التّوبة والاستغفار وفي الحديث القدسي: «قال اللهُ تعالى: يا ابنَ آدَمَ، إنَّك ما دَعَوتَني ورَجَوتَني غَفرتُ لك على ما كان منكَ

(١) حسّنه الألباني.

(٢) النساء: ١١٠.

ولا أُبالي، يا ابنَ آدَمَ، لو بلغتْ ذُنوبُك عَنانَ السماءِ، ثم استغفَرْتَني غَفرتُ لك ولا أُبالي، يا ابنَ آدَمَ، إنَّك لو أتيتَني بقُرابِ الأرضِ خَطايا، ثم لَقيتَني لا تُشرِكُ بي شيئًا، لأتيتُكَ بقُرابِها مَغفِرةً»[1].

نحن لابد أن نشعر بهذه الصّفة ترد الرّوح إلينا وتذهب اليأس عنا وعلينا أن نكون مستجمعين قوى أنفسنا وقتما نستغفر ووقتما نقول سيد الاستغفار خاصّة.

إذا عرفنا عن ربّنا هذا المعنى -وسيتبيّن أكثر الآن عندما نتكلم عن سيد الاستغفار- يكون الواجب علينا كثرة الاستغفار وسؤال الله التّجاوز عن الذّنوب، والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد أخبرنا يصف حاله -صلّى الله عليه وسلّم-:

«إنَّه لَيُغَانُ علَى قَلْبِي، وإنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، في اليَومِ مِئَةَ مَرَّةٍ.»[2]

وفي الحديث: «من قال: أستغفرُ اللهَ العظيمَ الذي لا إلهَ إلَّا هو الحيَّ القيومَ وأتوبُ إليه غُفِرَ له وإنْ كان فرَّ من الزحفِ»[3]

الشّاهد هنا أن يكون الإنسان مستحضرًا هذا المعنى، مستحضرًا معاني ما يقول، يستحضر معاني ما يقول، ويكون صادقًا في إقباله على ربّه، ولا يكون ممن اقتحم الذّنب وهو يقول: (سأستغفر، سيغفر لي) لأن هذا القول: (سيُغفر لي) مع الإصرار لا يكون إلّا من الاستهانة بالعظيم، لمن له الجبروت والملكوت، ولكن الحياء من الله وتعظيم الله هو الّذي يجعل الإنسان يطلب المغفرة وهو منكسرًا

(١) حسّنه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم: (٢٧٠٢).

(٣) صححه الألباني.

ذليلًا لا أن يطلب المغفرة وهو عاقد العزم على أن يعود إليها أو دخلها مستهينًا بحقّ الله! والله المستعان.

على كلّ حال، لو نريد أن نتكلم عن فوائد الاستغفار ونتائجه سيطول بنا المقام ولكن في هذا الأمر نختصر فنقول أن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كما في ابن ماجه قال: «طُوبى لِمن وَجَد في صَحيفتِه استِغفارًا كثيرًا».

من هنا نعرف مسؤوليتنا عن أنفسنا وأيضًا نشعر بالفرص المتاحة لنا، ولا نكون من أولئك القوم الّذي نسوا الله فأنساهم أنفسهم، يا لها من مصيبة عظيمة، نسوا الله يا لها من مصيبة عظيمة، ولو أردت أن تعرفين صفة هؤلاء الذّين نسوا الله ستجدين أن هؤلاء نسوا الله باشتغالهم بالشهوات واحتجابهم باللّذات، وعدم تذكر لقاء الله ليستغفروا ويتوبوا، والمصيبة العظمى: أنّ الإنسان عندما يترك الاستغفار لا يتصور أنّه من العقوبة؛ لأن هؤلاء نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أنساهم أن يطلبوا مصلحة نفسهم فيستفيدوا من أن ربّهم غفور فيغفر لهم ما مضى، فمن نسي ربّه أنساه ذاته ونفسه، فلا يعرف حقيقته ولا مصالحه بل نسي ما به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعاده، كما يقول ابن القيم: في(دار السّعادة):

"تأمل هذه الآية تجد تحتها معنى شريفًا عظيمًا. وهو أن من نسي ربّه، أنساه ذاته ونفسه، فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نسي ما به صلاحه وفلاحه، في معاشه ومعاده، فصار معطلًا مهملًا، بمنزلة الأنعام السّائبة بل ربما كانت الأنعام أخبر بمصالحها منه، لبقائها علي هداها الّذي أعطاها إياه خالقها. وأمّا

هذا فخرج عن فطرته الّتي خلق عليها، فنسي ربه. فأنساه نفسه وصفاتها، وما تكمل به، وتزكو به، وتسعد به في معاشها ومعادها".

فهذا كلّه رمزه وصفته أن يكون الإنسان بين جنبيه حياة ولا يستغفر الله، هذا والله الّذي أنساه الله نفسه، هذا الّذي أطاع من أغفل الله قلبه عن ذكرنا واتّبع هواه وكان أمره فرطًا، فكيف يكون هذا الّذي لا يستغفر ولا يتوب ولا يعود إلّا ناسيًا حظ نفسه، مضيعًا الفرص.

على كلّ حال هنا يجب أن نؤكد أيضًا أن لا مكان للمثالية في التّعامل مع ربّ العالمين ولا يريد الله منك هذه المثالية، ففي الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- الّذي رواه مسلم في صحيحه عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلم- أنه قال:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لو لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لهمْ»[1].

هنا الأمر ليس على باب المثالية وإنما على باب تذكر مصلحة النّفس وتذكّر الفرص وتذكّر الطّبيعة الإنسانية ونحن في اختبار وأنّه لابد كلّ مرة أن نعود فنمحو الصّفحات السّابقة الّتي أسأنا الإجابة فيها ونطلب فرصة جديدة وربنا غفور يقبل من العبد توبته والحمد لله ربّ العالمين.

المهم أنّه يجب منا أن ندعو الله بأسمائه وأن نتعبده بمقتضى أسمائه كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾[2] من ذلك هذه الأذكار الّتي نقولها في صباحنا ومسائنا، أي نعتبر أنفسنا الآن ونحن نقول الأذكار نعبد الله بأسمائه وصفاته، مثلما قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

(٢) الأعراف: ١٨٠.

«إن للهِ تسعةً وتسعونَ اسْمًا، من أحصاهَا دخلَ الجنةَ»[1]

والإحصاء من بين معانيه هو: حفظ هذه الأسماء وفهم معانيها ودعاء الله بها والعمل بمقتضاها.

هذه معاني الإحصاء ثلاثة مراتب. فالدّعاء بها والعمل بما تقتضيه هذا هو الّذي نفعله حين نقول الأذكار، مثل سيد الاستغفار الآن حين نقوله ونحن نفهمه نكون حفظناه لأننا حفظنا الدّعاء وفهمنا معناه ودعونا الله بهذا الاسم بما يتضمنه وبما يجب أن نعتقده فيه ونعمل بمقتضى ذلك.

لأجل أن ندخل في موضوعنا لابد من هذه المقدمة، أكمل في إنهاء المقدمة اليوم وأبدأ إن شاء الله بشرح سيد الاستغفار في لقائنا القادم.

من المعاني الّتي يجب أن تكون في نفوسنا لكي ندعو الله بهذه الأسماء ونعمل بما تقتضيه هذه الأسماء: أن نكون متصوّرين أنّ ربّ العالمين يحب منّا أن نعبده بهذه الأسماء، ويحب منّا في كلّ وقت أن نتعامل معه باسم من أسمائه، وفي كلّ حين نظهر فقرنا له -عزّ وجلّ- لما له -عزّ وجلّ- من صفات عظيمة.

هنا في موطننا هذا ونحن عرفنا أنّ الله هو الغفور الغفار وهو العفو وأنّ هذه من أسمائه وأنّ هذه صفات له -عزّ وجلّ- فالواجب علينا كثرة التّوبة والإنابة إلى الله، الواجب علينا تصوّر ما هي الأسباب الّتي تكون بها المغفرة، كيف أنا أتعرض لهذا الاسم لله وهذه الصّفة العظيمة الّتي هي نعمة من الله علينا، ومن أجمع النّصوص لأسباب مغفرة الذّنوب قوله تعالى في سورة طه:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[2]

---

(١) صححه الألباني.

(٢) طه: ٨٢.

بهذا ذكرت الضّوابط الّتي تنال بها مغفرة الله -عزّ وجلّ-، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ﴾

- تاب بالإقلاع عن الذّنوب والندم على فعلها والعزم على عدم العودة إليها.
- آمن بالله وبعظمته.

ولذلك تجدين أنّ أول جملة في سيد الاستغفار تدلّ على الإيمان بالله: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» يعني آمن بالله، آمن بكمال الله، آمن بعظمة الله، آمن بلقاء الله، وتفكر وتفكر كيف سيلقى الله، آمن أنّ ملائكة الموت تنزل على العبد عند قبض روحه فإمّا ملائكة الرّحمة وإمّا ملائكة العذاب، آمن أنّه سيسأل في قبره فإمّا يقال له نام مطمئن ويفتح له من أبواب الجنّة ومن ريحها وإمّا العكس والعياذ بالله، آمن أنّ الخلق ستقوم قيامتهم ويلقون ربّهم وسيكلمهم الله ما بينه وبينهم ترجمان، آمن أنّ كلّ قوم سيسيرون مع رسولهم وسيشربون من حوضه أو يطردون عنه نعوذ بالله.

آمن بجميع ما أمره الله -سبحانه وتعالى- أن يؤمن به: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي أتى بالأعمال الصّالحة لا أن يؤمن وبعد ذلك تجده أنّه لا يعمل للقاء ولا يطلب الصّفحة البيضاء المليئة بالخيرات والبركات ويأتي يقوم القيامة عند ربّ العالمين وهو في أحسن حال يترك العمل، كيف؟! الّذي تاب وآمن لابد أن يكون له عمل صالح ما استطاع إلى ذلك سبيلًا ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ أي بذل جهوده أن يتمسك بالطّريق، بذل جهوده أن يحارب عدوه الشّيطان، أن يكثر من قول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، أن يطلب من ربّ العالمين دائمًا حسن الختام اللّهمّ ارزقنا حسن

الختام، أن يكون مشغولًا بتفاصيل الإيمان ليزيده، وتفاصيل الأعمال الصّالحة لكي يزيد منها وتكون سببًا لثباته. إذًا ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ من كان كذلك غفر الله له ذنبه وستر عيبه وكان ممن ينال مغفرة الله - عزّ وجلّ-، فإذا حصل هذا فالتّوبة تجبّ ما قبلها أي تمسح ما قبلها، فيكون بهذا العبد يلقى ربه وهو تائب وهو عامل أعمال صالحة وهو مؤمن بربّه فتجد هؤلاء يسرع بهم إلى جنّات النّعيم، يلقون الله ما عليهم خطيئة، نجحوا في الاختبار، وهذا كلّه مداره أن يكون الإنسان حريصًا على أن تكون صفحته بيضاء فيغسلها بصابون الاستغفار.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

"الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، من العمل النّاقص إلى العمل التّامّ، ويرفع العبدُ من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، فإنَّ العابد لله والعارف بالله في كلّ يوم، بل في كلّ ساعة، بل في كلّ لحظة يزداد علمًا بالله وبصيرةً في دينه وعبوديته بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله. ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية وإعطائها حقّها. فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النّهار، بل هو مضطرٌّ إليه دائمًا في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد، لما فيه من المصالح وجلب الخيرات ودفع المضرّات، وطلب الزّيادة في القوّة في الأعمال القلبية والبدنيّة اليقينية الإيمانية".

إذًا معنى ذلك أنّ هذا أمر عظيم إلى درجة أن قوة الإنسان في إيمانه متأثرة بالاستغفار.

إن شاء الله فيما نستقدم في الأسبوع القادم ستكون عنايتنا بهذا الذّكر الّذي هو صيغة من صيغ الاستغفار جاءت في سنة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم - وهي أفضل صيغ الاستغفار وأكملها ولذلك يجب أن نهتم بها ونعتني بها ونعمل بها ونعتقد ما فيها، وسيد الاستغفار كما تعلمون في الحديث نفسه كان هناك شرط مهم ليكون الجزاء متحقّق، ما جزاء الّذي يقول سيد الاستغفار: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «ومَن قالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها، فَماتَ مِن يَومِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ -سبحان الله- ومَن قالَها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فَماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ». وفي بعض الرّوايات دخل الجنّة، وفي بعض الرّوايات «إلّا وجبت له الجنّة» ما الشّرط؟ الشّرط هو الّذي نبحث عنه في هذه المناقشات، الشّرط: أن يقول سيد الاستغفار موقنًا به، موقنًا بهذه الكلمات الّتي يقولها وهي كلمات يسيرة يسيرة يسيرة حقًّا ولكنها عظيمة عظيمة عظيمة في عقيدة المؤمن.

بإذن الله تكون وقفتنا القادمة في الأسبوع القادم حول هذا الذّكر وحول عبادة الله -عزّ وجلّ- بمعاني اسمه الغفور الغفار في هذه الصّيغة الّتي هي أفضل الصّيغ سيد الاستغفار.

جزاكم الله خيرًا. إن شاء الله لقائنا الأسبوع القادم ونحن جميعًا بخير حال وراجين من الله أن يجعل مثل هذه المجالس سببًا لمغفرة ذنوبنا وأن يستر علينا عيوبنا وأن يجعلنا أحياء في قلوبنا، اللّهمّ آمين.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللّقاء الثّامن عشر

السّبت ٤ رجب ١٤٤٣ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

نبدأ مستعينين بالله في إكمال ما بدأناه في الكلام حول سيد الاستغفار من ضمن ما بدأنا فيه من دراسة معاني أسماء الله -عزّ وجلّ- الّتي وردت في الأذكار، فإنّ الله -عزّ وجلّ- بمنّه وكرمه قد علّمنا أذكارًا نذكره بها، وهو -سبحانه وتعالى- يحب الذّاكرين، فمن ذِكْره وشكره -سبحانه وتعالى- هذه الأذكار الّتي هي أذكار الصّباح والمساء، وفي أذكار الصّباح والمساء من المعاني العظيمة ما تستوجب الوقوف أمامها فهي تعلمنا عن الله وتعلمنا عن أسمائه وصفاته وأفعاله -سبحانه وتعالى-.

وقد وقفنا المرة الماضية على إجمال الكلام حول سيد الاستغفار، وعرفنا أنّ هذا الحديث يدلّنا على وصف عظيم لربّ العالمين، أنّه غفور وأنّه تواب وأنّه يحبّ التّوابين، وأنّه -سبحانه وتعالى- من عظمته وجلاله ومما يدلّ على كماله أنّه يفرح بتوبة التّائبين وهو الغنيّ عن توبتهم ولكنه -سبحانه وتعالى- لا يحبّ لعباده الكفر ويحبّ لعباده الشّكر. فهذه صفات عظيمة لربّ العالمين، ومن هذه

الصّفات أتى أمر الله -عزّ وجلّ- لنا بالاستغفار، وأتى هذا الحديث الّذي سمّاه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- "سيد الاستغفار" ومن هنا عرفنا أنّ ربّنا اللّطيف الرّحيم بعباده سبّب أسبابًا للمغفرة، كل هذا لأنّ الله -عزّ وجلّ- من صفاته أنّه غفور رحيم، ومن صفاته أنّه يحب التّوابين، ومن صفاته أنّه التّواب، فعرفنا شيئًا عظيمًا عن ربّ العالمين واليوم إن شاء الله تزداد معرفتنا بالله من خلال هذا الذّكر العظيم وهو سيد الاستغفار.

أذكركم وأذكر نفسي بهذا الحديث العظيم وهو حديث شداد ابن أوس -رضي الله عنه- وفيه قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-:

«سَيِّدُ الِاسْتِغْفارِ أنْ تَقُولَ: اللّهمّ أنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ»[1]

وتمام هذا الحديث عند البخاري: «قالَ: ومَن قالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها، فَماتَ مِن يَومِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ومَن قالَها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فَماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ»[2].

يا الله شأن عظيم! ليس بين قائلها والجنّة إلّا أن يموت! فسبحان ربّنا العظيم كم له على الخلق من أفضال، وكم يحب لخلقه النّجاة، وكم أخبر العباد بأنّ بيده الهدى والرشاد! وأنتم أعظم حاجة لكم هي: الهداية إلى الصّراط المستقيم، فما بالكم يا عباد الله تكسلون عن الأسباب الموصلة لرضا ربّ العالمين ولمغفرته ولعفوه، ما بالكم؟! يخبرنا ربّ العالمين ونحن الفقراء إليه، المحتاجون إلى هدايته

---

(١) صححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري: (٦٣٠٦).

وإلى جنّته يخبرنا إلى الطّريق فنكون كسالى ولا نقتحم هذا الطّريق وهو يسير على من يسره الله، هذا فضل الله العظيم ولكن الشّيطان الرّجيم يثقل علينا فضل الله العظيم، نعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم عدونا، عدو المؤمنين، ابتدأت عداوته من عند آدم -عليه السّلام- وهي باقية إلى قيام السّاعة، إلى يوم الدّين، فلنأخذ حذرنا ولنكن شاعرين بعداوته ولنجمع قلوبنا على اليقين بربّ العالمين والذي إذا حصل هذا اليقين كان الذّكر -الّذي هو سيد الاستغفار هنا- سببًا أكيد لدخول الجنّة ولكن الشّرط كما سمعتم: «ومَن قالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها».

نأتي إلى شرح هذا الحديث بعد أن عرفنا الحمد لله إنّ الله يحب الاستغفار ويحب المستغفرين وأنّ من أسمائه الحسنى -جلّ وعلا- العفو والغفور والغفار، والله -جلّ وعلا- يحبّ أن ندعوه بأسمائه وأن نتعبده بمقتضاها، والله -عزّ وجلّ- هو القائل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ ونحن نعرف أنّ الحديث الصّحيح:

«إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةً إلَّا واحِدًا، مَن أحْصاها دَخَلَ الجَنَّةَ»[1]

حديث مبارك يدلّ السّائرين إلى الله على أيسر طريق للوصول إلى الله وأطيب طريق وأسهل طريق، اللّهمّ اجعلنا من أهل هذا الطّريق. مادمنا عرفنا إنّ الله غفور وغفار وعفو فهذا يلزمنا أن نستغفر الله ونكثر من التّوبة متعرضين لهذه الأسماء، وأن تكون منّا إنابة إلى الله لأنّ الله -عزّ وجلّ- يحبّ منّا أن نعبده بهذه الأسماء، فلا يكن منّا في حياتنا هجرًا لأسماء الله أو لشيء من أسماء الله بل لابد أن نراجع دائمًا كم نحن متعرضون لأسماء ربّ العالمين الّتي من أحصاها دخل

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦).

الجنّة. وقد مر معنا أن إحصائها أي: معرفتها من مصادرها ومعرفتها طبعًا هذه ستجعلك دائمًا متذكّرًا لأسماء الله وتجعلك تفهم معاني هذه الأسماء وتتقرب إلى الله بمقتضى هذه الأسماء سواء كان دعاء بلسانك أو عملًا بقلبك أو مناجاة لربك، كلّ هذا مما يحبّه الله.

ولاحظوا -نسأل الله أن يبلغنا رمضان ونحن في أحسن حال من الإيمان ومن التّقوى وأن يجعلنا ممن يقوم ويصوم رمضان إيمانًا واحتسابًا ويقوم ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا- ليلة القدر ما هو الدّعاء الّذي نصح به الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- عائشة -رضي الله عنها- لما سألته أنها لو علمت أنها ليلة القدر ماذا تقول ماذا تطلب من الله؟ فقال لها: اسألي الله باسمه العفو: «اللَّهمَّ إنَّكَ عَفوٌّ تُحِبُّ العَفوَ فاعْفُ عَنِّي»[1] نعم! الّذي يعرف هذا الاسم من أسماء الله يعرف أن الحياة كلّها تطيب من أثر هذا الاسم، ومنه في الأذكار إن شاء الله حين يأتينا: «اللَّهُمَّ عافِني في بَدَني، اللَّهُمَّ عافِني في سَمْعي، اللَّهُمَّ عافِني في بَصَري»[2] فالعفو -سبحانه وتعالى- هو الّذي يعفو ويمحو كما سيأتينا ومنه العافية -سبحانه وتعالى-، العافية من الذنوب والعافية في الأبدان والعافية في الأبناء، فالمقصد أنّه لابد أن نتعرض لأسماء الله، والحمد لله قد ناقشنا هذا في اللّقاء السّابق وإنما أعدت عليكم لأهمية هذا الكلام.

نأتي الآن إلى هذا النّص الّذي أمرنا هنا أن نقوله في الصّباح وفي المساء، فهو من عمل اليوم واللّيلة من أذكار الصّباح والمساء.

---

(١) صححه الألباني.

(٢) حسّنه الألباني.

هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدّعوات وجعل له عنوانًا: [باب أفضل الاستغفار]، وخرجه أيضًا من كتاب الدّعوات: [باب ما يقول إذا أصبح] ستلحظ هنا أنّه قد استفاد من قول النّبي -صلّى الله عليه وسلّم-: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفارِ» أنّ هذا أفضل الاستغفار؛ لأنه أخرجه في كتاب الدّعوات تحت باب: [أفضل الاستغفار] سيد الاستغفار يكون معناه أنّه أفضل الاستغفار. وأخرجه في باب: [ما يقول إذا أصبح] مستفيدًا من قول النّبي -صلّى الله عليه وسلّم-: «ومَن قالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها، فَماتَ مِن يَومِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ومَن قالَها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فَماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ».

إذًا "سيد الاستغفار" هذه تسمية النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، وعندما نقف أمام الحديث سنرى أنّه يجمع بين المعاني الّتي بها يصبح سيدًا للاستغفار؛ لأن هذا الحديث فيه من الخضوع والانكسار والافتقار لله كلمات عظيمة، فيها من الاعتراف بفضل الله ونعمة الله شيء عظيم، وفيها من التّوحيد في نسبة النّعمة والتّوحيد في معرفة ربّ العالمين وأنه لا يغفر الذّنوب إلّا الله، فمن جهة ظهور التّوحيد، وظهور معاني التّوحيد كان هذا الحديث من أعظم الصّيغ للاستغفار.

تبيّن لنا أنّ سيد الاستغفار هذا اسم وصفه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لهذا الحديث ليكون كما ذكر البخاري أفضل صيغة للاستغفار.

ما هي هذه الصّيغة؟ قال النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أن يقول العبد: (اللَّهُمَّ) أي: يا الله، الهاء هنا قلبت ميمًا على معنى معروف عند العرب، باتفاق أهل العلم أنها بمعنى يا الله، وهي ترد في الأدعية، لا تستعمل: (اللَّهُمَّ) إلّا في الطّلب وليس في

الخبر، نقول: (اللّهمّ اغفر لي وارحمني) ولا نقول: (اللّهمّ غفور رحيم) لا، وإنما هي في الطّلب. إذًا سيبدأ الإنسان الّذي يشعر بالفقر إلى الله والحاجة إليه والانكسار بين يديه بالدّعاء والنّداء يقول: يا الله، وهذا معنى (اللَّهُمَّ) ينادي الله مناداة المؤمن الّذي يعتقد أنّ ربّه سميع بصير، يناديه مناداة من يعلم أنّ ربّه غنيّ وأنّ هذا العبد هو الفقير، يناديه مناداة من يعرف إنّ الله يحبّ نداءه، يحبّ أن ينادى ويحبّ أن يطلب منه، يناديه مناداة من يعرف أنّه ليس له منجي إلّا الله (يا الله)، يعترف أنّه يتوجّه إلى الله ويناديه وأنّ ربّنا يسمعه ويبصره وأنّه هو الغنيّ وأنّ العبد هو الفقير وأنّ طرقًا على باب الملك العظيم لا يأتي إلّا بالخيرات.

هذا من العبد نداء بالاسم الجامع لله ألّا وهو الله الّذي يعتقد فيه الإنسان كما مر معنا في آية الكرسيّ أنّه بهذه الكلمة الّتي يقولها يصف الله بأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، الله ذو الألوهية أي: صاحب الكمال الّذي يستحق به المحبة والتّعظيم والتأليه ومن ثمّ يستحق العبادة (اللَّهُمَّ) وانظري الآن سيأتي الاعتراف: (اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) فانظري كيف يظهر الفقر في الاعتراف بربوبية الله وبأنّه الرّبّ الّذي ربّى، أوجد من العدم وأغنى وأقنى وسلّم وحفظ، الله الّذي ربّانا من النّقص إلى الكمال، وكانت ألطافه تحيط بنا الإحاطة التّامة، ألطاف الله الرّب المربي تحيط بالإنسان منذ كان في بطن أمه إلى أن يخرج إلى أن يكمل له الله -عزّ وجلّ- سمعه وبصره وقواه، أنت ربّي الّذي ربيتني، أطعمتني وسقيتني، وآويتني وكفيتني، كيف لا أعترف لك بالرّبوبية؟! كيف لا أكون إليك دائمًا فقير وإليك دائمًا محتاج، وبين يديك دائمًا منكسر، كيف لا أكون...؟! كيف وما بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك، كيف وأنت

الّذي تقبض روحي عند النّوم ثم تردها متى شئت، كيف لا تكون أنت الّذي أقف عند بابه وأنت وحدك الّذي أظهر فقري إليك وانكساري بين يديك.

(اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) والله إنّه معنى عظيم إلّا أنّ سهولة الكلام على اللّسان أورثت الاعتياد لهذا المعنى العظيم الّذي حين ينكشف عن الأبصار غشاوتها ويظهر للإنسان حقيقة الأمر ويكون الغيب شهادة سيعلم كم هذه الكلمة عظيمة وكم هذا النّداء عظيم، ولولا أنّه عظيم ما كان من قالها وهو مؤمن ما كان بينه وبين الجنّة إلّا الموت، ولكنها كلمات عظيمة جدًا تعرفين بها الله وتعترفين بها بين يدي الله (اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي) الشّعور بنعم الله وألطاف الله وعطاء الله الّتي تلف الإنسان في نفسه وفي ذريته وفي أحبابه وفي بيته وفي سوقه وفي ممره وفي ممشاه وفي مدخله وفي مخرجه كلّه من نعمة الله، كلّه من تربية الله.

ولذلك انظري هذا الإجمال في معرفة الله أي أنا أعرف أنك أنت الّذي ربيتني وأعطيتني، أنا أعرف أن لا أحد له عليّ نعمة إلّا أنت وحدك لا شريك لك، وأنت الّذي جعلت في الوالدين شفقة علينا، وأنت الّذي جعلت المال يجري بين أيدينا، وأنت الّذي بسمعنا نفعتنا، ببصرنا نفعتنا، بكلّ أحوالنا الّتي خلقتنا بها نفعتنا. أنت ربّي وأنت المستحق أن تكون إلهي لا إله إلّا أنت، لا أحد يستحق محبتي المطلقة المبنية على معرفة الكمال، المحبة الّتي فيها أحسن الظّنّ تمامًا تمامًا وأعتقد الكمال، لا أحد يستحق هذه المحبة المطلقة والتّعظيم المطلق الّذي لا يشوبه شيء إلّا أنت، ليس لي إله ملء وجداني حبًّا وتعظيمًا وله الثّقة وحسن الظّن المطلق إلّا أنت، أنت وحدك الّذي تستحق أن تكون ملاذي ومعاذي، أنت وحدك الّذي تستحق أن أصرف محابّي وتعظيمي له، أفر من كل شيء إليه،

وأنكسر بين يديه، وأنت وحدك لا شريك لك فيك رجائي ومنك وحدك لا شريك لك خوفي، وأنت ملاذي ومعاذي وحدك لا شريك لك.

(اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) كل معاني المحبة والتعظيم حقٌ لك وحدك لا شريك لك، لا يقول هذا الكلام من قلبه إلّا من عرف الله حق المعرفة، إلّا من جرب فعرف الخلق وعرف أنهم لا يستحقون الثّقة المطلقة ولا المحبة المطلقة ولا التّعظيم المطلق بل هم بشر ناقصون والله وحده المنفرد بالكمال، والله وحده المنفرد بصفات العظمة والجلال، سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة. (اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) فيكون في هذه الجملة توحيد الرّبوبية والألوهية والأسماء والصّفات، حين نقول: (اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي) أي: أنا أعترف بربوبية الله الّذي هو توحيد الرّبوبية، وباسم الله وباسم الربّ -سبحانه وتعالى-، وحين أقول: (اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي) هنا ضمير الفصل يدلّ على الاختصاص أي أنت وحدك ربي الّذي ربيتني.

(لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) هنا اعتراف بالألوهية وهما متقابلان، أعترف أنك ربّنا الّذي ربيتني وأعطيتني وسقيتني وأطعمتني وقبلها أوجدتني وكل المعاني الّتي تخطر على بالك في مسألة تربية الله لعباده منذ أن خلقهم في ظهور آبائهم حتى وصلوا إلى أرحام أمهاتهم حتّى خرجوا سالمين وأعطاهم ما أعطاهم ربّ العالمين من التّربية، فهو الّذي خلق ورزق وأنعم وأحيا ودبّر، فتصور كم تحتاج أن تستحضر من معاني أسماء الله وصفات الله في هذه الجملة.

ثم مباشرة تنتقل فتقول إنك تعترف أنك ربّنا وحدك الّذي ربيتني أثرها أن أعبدك وحدك لا شريك لك، وهنا أعبدك لابد أن تبتدئ بهذا الشّعور بكمال الله الّذي يأتي من ورائه الشّعور باستحقاقه للألوهية -سبحانه وتعالى-.

(اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي) ويأتي هنا الاعتراف التّفصيلي لذلك، الخلق (خَلَقْتَنِي) والمقصد أنّ خلق الله للإنسان هو بداية النّعم وهو بداية العطاء وهو الآية العظيمة؛ لأن الله خلق الإنسان وشقّ سمعه وبصره وأعطاه هذه القوة كلّها، أعطاه قلب ينبض، وأعطاه أعضاء تتحرك، وأعطاه -سبحانه وتعالى- أمور لا عد لها ولا حصر في بدنه ولم يجعله عن هذه الأشياء مسؤولًا، ولا هو الّذي يدبّرها ولا هو الّذي يحركها ولا هو الّذي يأمرها ولا هو الّذي ينهاها، وإنما يأتي الإنسان ونعوذ بالله من الكفران ويقول: (هذه أعضاء لا إرادية)! لا هذه تحت إرادة الله وحكمه، حين تقول: (لا إرادية)! أي: (أنا لا أستطيع أن أتحكم بها) هذه الجملة صحيحة ولكن ليس صحيحًا أن أقف عندها وإنما الصحيح ليست تحت إرادتي، القلب ينبض لا إراديًا أي ليست بإرادتي، ولكن لا إراديًا ثم نقطة؟! لا وإنما لا إراديًا أي أن قلبي ومعدتي والدّماء والدّماغ وكل ما أردت من هذه الأعضاء الدّاخلية ليست تحت إرادتي وإنما هي تحت إرادة من خلقني، أنت خلقتني (اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي) وقت قولك: (خَلَقْتَنِي) لابد أن يكون هذا الذي تفكر فيه واعلم أن هذه الأشياء أعقد ما تكون ولازال الخلق يكتشفون ويكتشفون ولازالوا بعيدين عن أن يحيطوا بما خلق علمًا -سبحانه وتعالى-، ولكن نعرف أنّ الله خلقنا وأنّ كلّ شيء فينا تحت إرادته وتدبيره -سبحانه وتعالى-.

وهذه الكلمات المباركة تدفع الكفران وتأتي بالشّكر؛ لأن الّذي يعترف بأنّه ما خلق نفسه ولا أوجدها ولا الصّدفة أوجدته ولا الانفجار ولا الطّبيعة ولا أي كلمة سيأتون بها ويقولون: (من هذا وجد الإنسان) لا! الّذي يعترف إنّ الله خلقه هذا يعترف بمبدأ عظيم، يعرف أن هذا التّركيب البديع لا يمكن أن يكون إلّا من الله، فأنت يا ربّنا الدّليل على كلّ شيء، إيماننا بعظمتك وقدرتك يجعلنا نقول:

نعم، الله قادر على كلّ شيء، وإلّا لو سألت: أين هي الرّوح أين هذه الرّوح وحين يأتي الموت وتفارق الرّوح الجسد ماذا يبقى؟ ما هذا الجسد؟ ما قيمته؟ لا شيء!

أين ذهبت الرّوح الّتي هي الإنسان؟! كيف خرجت من الإنسان ونحن لا نراها؟! كما أنها بثت في الإنسان وهو لا يراها، كما أنها تنزع حال النّوم وترد ولا تراها! أنت تحت تدبير الله، فلا تغفل عن الله، كيف وكلنا نعلم كم من حوادث سير تحصل بسبب أنّ الرّوح تقبض إلى النّوم وليس الموت فينام السّائق فتأتي الحوادث، كيف قبضت لماذا لم يتحكم فيها لماذا لم يبقِها؟! لأنّ الله خلقني وهو الّذي يدبرني وتحت إرادته كلّ شيء فيّا، بدني وأعضاؤه، قلبي ودماؤه، وروحي وبقاؤها وسريانها أو قبضها وذهابها، كلّها بيد الله.

(اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي) خلقتني أنا مؤمن بهذا، مؤمن وكلما عرفتك أكثر عرفت الأشياء وظهر لي في الأشياء آثار قدرتك يا عظيم يا كريم يا رحيم.

(اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ) هذه النّتيجة، النّتيجة الّتي تأتي من بعد تفكّر عظيم ومن بعد تذكّر ومن بعد تقليب للأحوال ومن بعد رؤية تصريف الله للخلق، نعم، (اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ)

أعلن هذه العبودية وأعترف بها وأراها شرفًا لأنّ من كان عبدًا للملك العظيم القريب من عباده الّذي يسمعهم إذا طلبوه سمع استجابة، ويعلم ما في قلوبهم فيعطيهم النّوال قبل السّؤال، ويلطف بهم، ويحيطهم برحمته، كيف لا تكون هذه العبودية شرفًا له؟! والعبد عبودية الاختيار إذا أراد أن يكلم الله توضأ وقام إلى الصّلاة، وإذا أراد أن يسمع كلام الله قرأ في كتاب الله، كيف لا يكون شرفًا أن تكون قد ميزت عن كلّ المخلوقات بأن تكون محاطًا بهذه النّعماء العظيمة في عبوديتك؟! نعم، نعماء عظيمة! حتى من هذه النّعماء أن يجعل ملائكة السّماء تحوطك بأمره، كيف لا يكون شرفًا؟! (وأنا عَبْدُكَ) شرف عظيم.

(وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ) نعترف بالعبودية الّتي طبعًا على درجتين كما هو معروف أن العبودية على درجتين:

- درجة العبودية الاضطرارية الّتي يشترك فيها كلّ النّاس وكلّ المخلوقات، فهم من هذه الجهة عبيد لله لأنّه خالقهم ومدبرهم ومصرفهم ولا يستطيعون عند أحكامه القدرية أن يمتنعوا، فلا مرض يستطيعون أن يردوا، ولا رزق يستطيعون أن يمنعوا أو يعطوا، ولا موت ولا حياة ولا نشورًا يستطيعون أن يمتنعوا عنها، هذه العبودية الاضطرارية ولكن الّذي يظهر في الحديث في الدّعاء الاعتراف طبعًا الاعتراف بالعبودية الاضطرارية هذا أمر مفروغ منه وإنما المقصود -والله أعلم- النوع الثاني:

- الاعتراف بالعبودية الاختيارية الّتي هي التّمتع بشرف الوقوف بين يدي الله ومحبة الله، محبة الله من العبد، العبد يحبّ ربّه وهذا شرف عظيم يتمتع به العبد والأعظم منه أنّ يحب الله العبد، هذه العبودية الاختيارية الّتي فيها

التّمتع، تدعو ويأتيك من الأحداث والأحوال ما يقول لك: سمعك الله. وتحدث نفسك وتناجي فتأتيك من الاحوال والأحداث ما يقول لك: الله مطّلع على ما في وجدانك. وتحزن وتنكسر فتجد جبره محيطًا بك، تتمتع بالقرب من الله، تتمتع بالثقة بالله، تتمتع متاعًا عظيمًا بأنّ الله هو الصّمد الّذي تصمد إليه وتثق به وتقف بين يديه كلما احتجت، لا تجد في نفسك فقر إلّا إليه، ولا تشتكي حاجة إلّا بين يديه، يا له من عزّ وفخر! هذه المعرفة العظيمة وهذا الاعتراف بالعبودية نعمة تزيد الإنسان شرفًا ورفعة. نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل هذا الشّرف ومن هذه النّعمة، اللّهمّ آمين.

وصلنا إلى هذه العبارة وإن شاء الله في لقائنا القادم ننتقل إلى: (وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ).

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء التّاسع عشر

السّبت: ١١ رجب ١٤٤٣ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

نبدأ متوكلين على الله ونعود إلى ما بدأناه في مدارسة موضوع أسماء الله كما وردت في أذكار الصّباح والمساء، هذه الأذكار العظيمة الّتي هي من منّة الله -عزّ وجلّ- علينا، الله -عزّ وجلّ- أمر رسوله أن يبلغنا الرّسالة ومن هذه الرّسالة أن يبلغنا كيف نذكر ربّنا، ومن ذلك أن يبلغنا بهذه الأذكار الموظفة على الزّمان، ففي كلّ صباح وفي كلّ مساء يسنّ لأهل الإيمان أن يذكروا الله -عزّ وجلّ- بهذه الأذكار، فالنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- علّمنا هذه الأذكار لنذكر ربّ العالمين فأكيد أنّ في الأذكار ذكر لله، وزيادة معرفة الله تجعل هذه الأذكار أجورها مضاعفة.

وهذا أمر مهم أن نعرف أنّ من أسباب مضاعفة الأجور حضور القلوب أثناء العمل.

ومن أسباب مضاعفة الأجور قوة العلم بأسماء الله -عزّ وجلّ- وصفاته وقوة الإيمان بالله هذا يزيد أجر العمل، فتتضاعف الأجور إذا امتلأت الصّدور بمعرفة ربّ العالمين الغفور الشّكور، فإنّه يزيد شكر العبد إذا زاد العبد في

معرفته، وحتّى لو كان نفس العمل يصدر من فلان ومن علان من كانت معرفته بالله أكثر ويقينه أقوى كان عمله أكثر مضاعفة، فالحمد لله ربّ العالمين، الحمد لله الغفور الشّكور.

وقد كنا وصلنا في مناقشتنا لأذكار الصّباح والمساء إلى حديث عظيم وهي من منن الله هذا الدّعاء من منّن الله أن علّمنا كيف نستغفره ونتوب إليه، بل لو تذكرتم أن آدم -عليه السّلام- لما ابتلي بالخطيئة ووقع فيها وكان اختبارًا له كان من منّة الله أن علّمه كيف يتوب وكيف يعود وبهذا نزل آدم -عليه السّلام- يعرف نفسه ويعرف عدوه ويعرف الله وأنّه حتّى لو أخطأ وهو ابن آدم الخطّاء حتّى لو أخطأ فإن له توبة ويتوب الله عليه، ونحن لا يمكن أن نقوم بما يجب علينا إلّا إذا أعاننا ربّنا ربّ العالمين.

على كلّ حال، سيقول العبد: (وأَنا على عَهْدِكَ ووعدِكَ ما استطَعتُ) يعني أنا عاهدتك ووعدتك أن ألتزم بالإيمان وبالعبادة وبالانقياد لأمرك، فأنا على ذلك مقيم ما استطعت، وأنا على يقين أنك لا تكلف نفسًا إلّا وسعها، وهذا هو بالضّبط ما نقوله في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] وهذا أيضًا يتضمن أني مقيم على ما عهدت إليّ يا ربّ من شؤون وأوامر، عهدت إليّ يا ربّ أن ألتزم بالإيمان فأنا باذل جهودي أن ألتزم بالإيمان، عهدت يا ربّ لي وأمرتني أن أدعوك ولا أدعو سواك، فأنا أسألك وأدعوك ولا أدعو سواك، عهدت إليّ يا ربّ أن أحسن الظّنّ بك فأنا محسن الظّنّ بك، وهذا كلّه بإعانة منك وعلى قدر استطاعتي: (ما اسْتَطَعْتُ) هنا يحمل المؤمن يقينًا أنّ ربّ العالمين لا يكلف نفسًا

(١) الفاتحة: ٥.

إلّا وسعها، وفي نفس الوقت اعتراف منا أننا عاجزون لولا أن يعيننا ربّ العالمين، فهو معنى مهم في عقيدتنا تجاه أنفسنا وتجاه ربّنا، أنا عاجز ومقصر وأنت يا ربّ العالمين الّذي تعين ولولا إعانتك ما فعلنا شيء، نحن مقصرون فلا تؤاخذنا على عجزنا وضعفنا وقصورنا.

هذه المعاني تزيد يقيننا بأنّ ربّ العالمين هو معيننا وهو الّذي إليه نلجأ عندما نعزم على طاعة أو نعزم على أي أمر ينفعنا في دنيانا أو أخرانا، فأنت المعين أنت الميسر، أنت المسهل، فتبقى المناجاة، ويبقى لذيذ الكلام مع ربّ العالمين، وتبقى في القلب طمأنينة لا يعرفها إلّا أهل الإيمان أنني استعنت بالله، ومن هذا الّذي يستعين بالله فلا يعينه الله؟! ومن هذا الّذي يطلب الله ولا يعطيه الله؟! بل يعطي الله العباد أكثر مما طلبوا، ويعين الله العباد حتّى تمر المسائل الثّقال كالسّحاب سريع السّير، وهذا كلّه لمن صدق في التّعلّق بربّه وتمسك بحبله ولم يلتفت عنه يمنة ولا يسرة.

ولذلك لاحظوا هذا الحديث مبناه على التّوحيد: (وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ) أنا متمسك بهذا الحبل لا أريد أن أتركه أبدًا، أنا متمسك بالعروة الوثقى كيف أتركها فأقع في لجج الظّلام وفي بحور الخطيئة، وفي الضّياع والتيه، وما أراه يمنة ويسرة من شرود النّاس عن مصالحهم وهروبهم إلى شياطينهم يوحون إليهم زخرف القول غرورًا، نعوذ بالله من تلك الحال. نسأل الله بمنّه وكرمه أن يحفظنا بالإيمان قائمين وبالإيمان قاعدين وأن يثبتنا حتّى نلقاه يوم الدّين ونحن على هذا التّوحيد العظيم.

والواجب علينا أن نجتهد لنكون صادقين مع ربّ العالمين فنفعل الطّاعات ما استطعنا، ونشكر النّعم ما استطعنا ونحقق الإيمان بجهدنا ما استطعنا، وفي هذا كلّه ونحن به مستعينين وعليه متوكلين والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور.

ثم يأتي قولنا في الحديث حين ندعو ربّنا فنقول: (أَبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي)، (وأَبُوءُ) بمعنى: (أعترف وأقرّ)، وهذه كلمة: (أعترف وأقرّ) لا تعبر عن حقيقة معنى كلمة: (وأَبُوءُ)، هذه الكلمة تحمل معاني دقيقة، تحمل معاني العبد الذّليل الّذي يعرف كم لربّ العالمين من نعمة عليه فهو يتبوّأ مكانه ولا يغادره ويعرف حجمه ويعرف حاله فتقوده نعم الله للاعتراف بعظمة الله.

(أَبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ) تقودني نعمك إليك يا ربّ العالمين، ترجعني نعمك إليك، لاحظوا عندما يقولون مثلًا: (باءت جهوده بالفشل) أي: رجعت جهوده بالفشل! (باء بالطّفل إلى بيته) أي: أرجعه، قاده، فـ (باء) بمعنى: رجع، وفي الآية: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾[1] أي: تعود بإثمي.

المقصد حين نقول: (أَبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ) معنى فوق كلمة الاعتراف، معنى يصل إلى حد أنّ العبد يكون في اعترافه هذا راجع إلى الله (أَبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ) أنا أعلم أن كلّ نعمة عليّ إنما هي راجعة لك، وأرجع كلّ نعمة إليك، وأبدأ بالنّعمة عندي هنا الّتي بين يدي ويدور عقلي فيها حتّى أعيدها إليك. وهذا معنى لطيف دائمًا نفهم الصّغار هذا المعنى بسهولة، مثلًا في قصّة الخبز أسهل شيء أن نقول: إن هذا الخبز الّذي بين يديك من أين أتى؟ من الخباز، والخباز ماذا

---

(١) المائدة: ٢٩.

فعل ومن أين أتى ومن أين أتى...؟ إلى أن نرد الّذي بين يدينا إلى أصله، نرد الفرع الّذي بين أيدينا هنا إلى أصله وهو عطية ربّ العالمين.

فأنا أرجع في الاعتراف بالنّعم وفي النّظر إلى النّعم أرجعها كلّها إليك، أرجع كلّ النّعم الّتي بين يديّ إليك يا ربّ العالمين، هي ليست بجهدي ولا بقوتي ولا بأي شأن من شؤون الخلق، والله لولا الله ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، لولا الله ما كنا في هذه الحال من العلم، لولا الله ما كنا في هذه الحال من الفهم للقرآن، لولا الله ما كنا في هذه الحال من رغد العيش، وما رغد العيش إلّا الإيمان! الإيمان يجعل العيش رغدًا، الإيمان الإيمان.

(أَبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي) وأنا أرجع إليك وأنطرح بين يديك معترفًا بأنك أنعمت عليّ نعم كثيرة الواجب أن أشكرها، لاحظ المؤمن يعرف عن ربه أنّه المنعم حقًّا، وأنّ كلّ شيء بين يديه صغيرًا كان أو كبيرًا، كلّ شيء بمعنى كلّ شيء إنما هو من نعمة الله، الله هو المنعم، الله هو الّذي أنعم. أرجع بكلّ شيء إليك وأنسبه وأنسب كلّ نعمة عليّ أو على خلقك إليك.

(وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي) عندما أذنب لا أهرب منك يا ربّ العالمين وإنما أتوجّه إليك وأشتكي نفسي الّتي بين جنبي وأشتكي عدوي الّذي غلبني، وأسألك أن تعينني على نفسي وعدوي، أنا يا ربّ معترف ومقر بنعمك العظيمة وبقلة شكري عند نعمائك، وقلة صبري عند اختبارك، وأنا أعلم أن مَن شاهد المنّة وطالع عيب نفسه ونقص عمله وقلة شكره انكسر بين يديك وافتقر بين يديك وتاب إليك واعترف أنك وحدك المحسن.

هذان الجملتان: (أَبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي) تتضمنان إيماننا بأن الله محسن إلينا، وأن لا أحد محسن أبدًا علينا إلّا إيّاه، وهو الّذي أحسن إلينا -سبحانه وتعالى- وهو الّذي سخّر لنا من يحسن إلينا إحسانًا منه علينا، فضلًا ومنّة منه علينا، له الحمد أوّلًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، له الحمد -سبحانه وتعالى-. اللّهمّ لك الحمد حتّى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرّضا يا ربّ العالمين.

(أَبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ) ولاحظ هنا (نعمة) مفرد مضاف، والمفرد إذا أضيف عمّ، وبهذا نعترف إن كلّ النّعم علينا إنما هي من الله، والله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[1] النّعم كلّها من الله، نعمة الإيمان، نعمة العافية، نعمة الولد، النّعم لا تنتهي، نعمة البيوت، نعمة الأمن، نعمة الأمان، نعمة الطّعام والشّراب، حتّى أنك تجد من نعمائه انشراح الصّدور ودخول السّعادة إلى القلوب بشأن لا تعرفه إنما الله يأتي بذلك.

ما بنا من نعمة فمن الله ونحن بذلك معترفون، ومعترفون أننا مقصرون في شكر نعمائه -عزّ وجلّ-. والاعتراف بالتّقصير هو أوّل طريق التّوبة، ونحن لو جربنا تجربة بسيطة في حياتنا سنجد آثارها إن شاء الله في تفكيرنا.

لو فكرنا أن الله لا يبقي علينا نعمة إلّا الّتي شكرناها، نفكر في نعماء الله ثم نسأل: هل هذه النّعم الّتي عليّ شكرتها أو لم أشكرها؟!

أو بطريق آخر بيتي مثلًا فيه الحمد لله نعم الله وأنا فيه مستورة والباب مغلق عليّ هل شعرت ذات مرة بأن الباب الّذي يغلق عليّ أنّه بنفسه نعمة، فكري لو

---

(١) النحل: ٥٣.

لم يبقَ إلّا النّعم الّتي شكرناها كيف سنتجرد هنا في الحياة ونجد أنفسنا في حال الله عليم بها! فهذا التّفكير وهذا الاعتراف أوّل طريق أن نعود إلى شكر نعمائه وأن نتوب من تقصيرنا في شكر النّعمة وهذه نقطة مهمة جدًا لأنّ أوّل تسهيل مسألة الذّنوب: عدم الحياء من الله، وعدم الحياء من الله ما سببه أصلًا؟ سببه أن الإنسان لا يشعر بأنه غارق في نعم الله، فيشعر أنّه هو الّذي أتى بالنّعم من عند نفسه أو باجتهاده أو أنّ هذا الأمر الطّبيعي أن الإنسان يكون عنده بيت وأن هذا الأمر الطبيعي أن الإنسان يكون عنده عائلة! هذا الشّعور بأنّ هذا الأمر الطّبيعي كم يسر على النّاس وسهل عليهم الوقوع في الذّنوب، وما هو إلّا من فعل الشّيطان، وما هو إلّا من وساوس الشّيطان.

(أَبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي) يأتي هنا الطّلب المهم الآن: (فاغْفِرْ لِي) أنا نادم، أنا نادم على ما وقع منّي وليس لي إلّا الوقوف بين يديك، وليس لي إلّا الانطراح انطراح المذنب المليء بالخطايا بين يديك: (فاغْفِرْ لِي، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ) فانظر إلى التّوحيد هنا، انظر إلى معرفتك بالله أنه هو الغفور، ولا تظن أن هذه المعرفة يسيرة سهلة أنّه طبيعي أنّ ربّنا هو الغفور وإلّا مَن يغفر إذا لم يكن ربّنا الغفور! تذكر أن قومًا عاشوا ولازالوا يعيشون في الظّلمات يأتون إلى الكهنوت ويطلبون منه صكًا للغفران، بل يطلبون صكًا لغفران ذنوب موتاهم وأنت أيّها المؤمنة وهذا المجتمع المؤمن يعرف الحقيقة، يعترف بذنبه ويتوب ويعرف عن ربّه أنّ مَن تاب تاب الله عليه مهما كان الذّنب، إذا اعترف العبد مهما كان الذّنب، الله يتوب عليه ما لم يغرغر وما لم تطلع الشّمس من مغربها، فيقول: أنا مذنب، أبوء وأعترف بذنبي (أَبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ) لن أذهب يمنة ولا يسرة ولا أطرق باب

أحد غير بابك، أنا أخطأت في حقّك وأنت وحدك الّذي تغفر لي، فإذا حصل من العبد هذا الأمر الّذي هو الاعتراف بنعمة الله والاعتراف بالذّنب وطلب المغفرة من الله وتوحيد الله في طلب المغفرة وهذا أمر مهم وهو توحيد الله في طلب المغفرة، إذا طلب من الله ووحد الله في طلب المغفرة غفر الله له.

وفي حديث الإفك النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «فإنَّ العَبْدَ إذَا اعْتَرَفَ بذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عليه»[1] إذًا من هنا تأتي عظمة هذا الحديث أنّ المذنب يعترف بتوحيد الله، وأنّ الله وحده الّذي يغفر الذّنوب وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده، فإذًا تعرف أنّ الله غفور بل لا غفور غيره، وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده؛ فتتوجّه إلى ربك مباشرة تتوب وتستغفر وتنيب وتطلب العفو من الله ومن يغفر الذّنوب إلّا الله؟!

انظروا كيف يحقّق هذا الحديث الجمع بين التّوحيد وطلب الاستغفار وهو يطابق قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[2] هذه الآية فيها جمع بين التّوحيد والاستغفار، والحديث يشبه دعاء ذي النّون: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[3] جمع بين التّوحيد والاستغفار، وهذا كثير في القرآن ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾[4] وهذا يجعل سيد الاستغفار من الأحاديث العظيمة لأنّ شهادة أنّ لا إله إلّا الله بصدق ويقين تذهب الشّرك كلّه دقه وجلّه، خطأه وعمده، أوّله

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦١).

(٢) محمد: ١٩.

(٣) الأنبياء: ٨٧.

(٤) فصلت: ٦.

وآخره، سره وعلانيته، وتأتي على جميع صفاته وخطاياه ودقائقه، هذه شهادة أنّ لا إله إلّا الله بصدق تذهب الشّرك كلّه. والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته ويمحو الذّنب الّذي هو من شعب الشّرك، فإنّ الذّنوب كلّها من شعب الشّرك، فالتّوحيد يذهب أصل الشّرك والاستغفار يمحو فروعه، فأبلغ الثّناء قول: (لا إله إلّا الله) وأبلغ الدّعاء قول: (أستغفر الله) هذا نقل عن ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى.

وبهذا نصل إلى نهاية الكلام عن هذا الحديث الّذي عرفنا فيه نداء الله: يا الله، وعرفنا فيه الاعتراف بربوبية الله، أنت الّذي ربيتني أوّلًا ولازالت تربيتك عليّ يا ربّ العالمين (أَنْتَ رَبِّي، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) كلمة التّوحيد العظيمة، ثم تأتي هذه الجملة الّتي تختصر معالم حياتنا: (خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ) وبيني وبينك يا ربّ هذا العهد والوعد فأسألك أن تجعلني عليه ثابتًا، ما الّذي يمنعنا من وعود الله الّتي وعد عباده المؤمنين إلّا الذّنوب؟! فما لي إلّا أن تغفر لي يا ربّ العالمين (فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.)

نسأل الله بمنه وكرمه أن يجعل معرفتنا له في ازدياد وأن تكون سببًا لحسن خواتيمنا ورفعتنا في يوم الميعاد. اللّهمّ آمين.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك أشهد أنّ لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته